أثر التغريض في تماسك النّصّ القصصي

THE INFLUENCE OF THE THEMATISATION IN THE COHERENCE OF THE NOVELIST TEXT

د. زبيدة ساسي
قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة باجي مختار –عنابة(الجزائر)
zoubidarss@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2018/04/12 تاريخ المراجعة:2018/04/17 تاريخ النشر: 2018/06/10

الملخص:

يعدّ التغريض من المبادئ التي يبنى عليها التماسك النصّي، وهو تمحور النص حول تيمة مركزية تظهر إما في عنوانه أو فاتحته أو تكون كلمة مكرّرة تحوم حولها جميع أجزاء النص، حيث تتوسّع هذه البؤرة المحورية تركيبيا ودلاليا لتنسج خيوط شبكة دلالات تشكل بها بنية كلية. في هذا الإطار سيكون موضوع بحثي الذي يهدف إلى إبراز تماسك النص القصصي من خلال آلية التغريض متتبّعة ذلك في قصة اللّسان لإبراهيم الكوني.

الكلمات المفتاحية: التغريض- النص- التماسك - لسانيات النص- الكوني.

Résumé :

La thématisation est l'un des fondements de la cohérence textuelle. Elle concerne la centralisation du texte autour d'un thème central, qui apparait soit dans le titre du texte, ou dans son introduction, soit dans un mot qui se répète autour duquel tourne toutes les parties du texte, et cette focalisation s'étend structurellement et sémantiquement pour tisser une toile de significations globales. Dans ce cadre, le sujet de cet article sera centré sur la mise en évidence de cohérence du texte nouvelliste à travers la technique de la thématisation, dans la nouvelle intitulée « histoire de la langue » de Ibrahim El Kouni.

Mots clés : thématisation - texte - cohérence - linguistique textuelle –el- kouni.

Summary :

Thematization is one of the foundations of textual coherence. It concerns the centralization of the text around a central theme, which appears in the title of the text, or in its introduction, or in a word repeated around all the parts of the text. this focus extends structurally and semantically to weave the global meanings of the text. In this context, the object of this article will be focused on studying the coherence of the novelist text through the technique of thematization, in the short story "story of tang" by I brahim el kouni.

Key words: thematization - text - coherence - linguistic text -el-kouni.

مقدمة :

يتحقق التماسك النصّي عبر وسائل لغوية وغير لغوية، يتم بها التلاحم والتشابك بين قضايا النص، والمتلقي وحده يمكنه إدراك المكونات النصية والعلاقات الدلالية التي يقوم بتأويلها بما يناسب. والتغريض أحد هذه العلاقات وهو تمحور النص حول تيمة مركزية تظهر إما في عنوانه أو فاتحته أو تكون كلمة مكرّرة تحوم حولها جميع أجزاء النص، حيث تتوسّع هذه البؤرة المحورية تركيبيا ودلاليا لتنسج خيوط شبكة دلالات تشكل بها بنية كلية. في هذا الإطار سيكون موضوع بحثي، الذي يهدف إلى إبراز تماسك النص القصصي من خلال آلية التغريض متتبّعة ذلك في قصة اللّسان لإبراهيم الكوني.

وقبل الولوج إلى عالم النص يجب أولا ضبط بعض المصطلحات التي يتأسس عليها البحث كي يتسنى للمتلقي فهم البحث ومتابعته. وهذه المفاهيم والمصطلحات هي: النص - لسانيات النص - التماسك - التغريض.

فالتغريض من المبادئ التي يبنى عليها تماسك النص، إذ يعدّ أحد معايير النصّية في لسانيات النص. فهذا المنهج يختلف بمفهومه الأوسع عن المنهج اللساني التقليدي، الذي تقيّد بحدود الجملة ومكوناتها المباشرة. فأوجب هذه النقلة الفكرية نحو وجهات نظر تَعدّ النص مرجعيتها الأساسية، باعتباره بنية كلية، نستطيع تحليلها انطلاقا من تحليل الخواص التي تؤدي إلى تماسكها وتعطي عرضا لمكوناتها التنظيمية.

فالنصّ هو "الموضوع الرئيسي في التحليل والوصف"[1]؛ لأنّ "الفهم الحقّ للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس اجتزاء البحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى. فكان الاتجاه إلى نحو النص أمرا متوقعا، واتجاها أكثر اتّساقا مع الطبيعة العلمية للدّرس اللساني الحديث"[2]. فانتقال الدّراسة اللّسانية من الجملة إلى النص ليس لمجرد التوسع الكمّي، إنما هي ضرورة تقتضيها طبيعة التواصل بين البشر. فهذا التواصل لا يتم بجملة منفردة (جملة نظام)، بل بجملة نصية مرتبطة بمقام معين. فسمح لنا هذا التغيير بتكوين أجروميّة للنص، حيث "تأكّد أنّ المعنى الكلي للنص والمعلومات التي يتضمّنها -خاصة التقنية والجمالية- أكبر من مجرد مجموع المعاني الجزئية للجمل التي تكوّنه، وبكلمات أخرى تبيّن أنّ هذه الدّلالة الكلية للنّص تنجم عنه باعتباره بنية كبرى شاملة، هي على وجه التحديد موضوع علم النص."[3]

النصّ (texte):

إنّ المقابل اللاتيني لكلمة "نص" هو textus وهو من الفعل textere الذي يعرف في العربية بالنّسج. فالنّص والنّسج متشابهان؛ فبينما يقوم الأول على التسلسل المنطقي للأفكار والتتابع الجملي يقوم الثاني بتجميع خيوطه تجميعا سليما حتى يبدو قطعة واحدة. فهو في اللسانيات الحديثة "مجموع الملفوظات اللغوية الخاضعة للتحليل. فالنّصّ إذا، عيّنة من السلوك اللغوي الذي يمكن أن يكون مكتوبا أو منطوقا. وهيلمسليف يأخذ كلمة "نص" بمعنى أوسع، ويعني بها أيّ ملفوظ سواء كان منطوقا أو مكتوبا، طويلا أو مختصرا، قديما أو حديثا. فمثلا "قف" (stop) هي نص مثلها مثل رواية الوردة."[4] ويعرفه برنكر بأنه "كمّ منظّم من القضايا التي تترابط من خلال علاقات منطقية- دلالية استنادا إلى الأساس الموضوعي للنّص." [5] ويصف ديكرو النص على أنّه "سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية " [6].

فتعريف النص لم يكن أكثر حظا من تعريف الجملة، إذ تعدّدت تعريفاته بتعدد وجهات النظر والمرجعيات، وهذا الاختلاف في تعريف النص، يرجعه برنكر إلى الاتجاهين الرئيسيين للسانيات النص:

- اتجاه قائم على النظام اللغوي.

- واتجاه قائم على أساس نظرية التواصل.[7]

لسانيات النص (linguistique textuelle):

يعدّ هاريس (Harris) أوّل لساني وسّع مجال الدراسة اللسانية، وانتقل بها من الجملة إلى الخطاب بفضل المقال الذي كتبه في 1952 (تحليل الخطاب) والذي يذكر فيه: "أنّ اللّغة لا ترد في صورة كلمات أو جمل منعزلة، بل في نص مترابط، بدءا من المنطوق المكوّن من كلمة واحدة حتّى المؤلّف المكوّن من عشرة مجلدات، من الحوار الفردي حتى المناظرة العامة."[8]وفي 1972 نشر "فان ديك (VanDyk)" كتابه "بعض مظاهر نحو النص"، واعتُبر المؤسس الحقيقي لنحو النص. وفي 1976 اتضحت معالمه أكثر مع هاليداي ورقية حسن في كتابهما الموسوم بـ"الاتساق في الإنجليزية". لكن بلغت النظرية أوجها مع دي بوغراند (DeBeaugrande) ودريسلر (dresler) في كتابهما (النص والخطاب والإجراء) سنة 1980. وكان هذا العلم يقوم "بتحديد قواعد بناء النص بوجه عام من خلال تحديد بنيته العميقة، وهي بنية دلالية أو مضمونية تستنتج من وصف دقيق لأبنية النّص الفعلية"[9]. لكنه تطور "فلم يعد يعنى بالمستويات اللّغوية: الصوتية والصرفية والنحوية والدّلالية من خلال وصف ظواهر كل مستوى وتحليلها في إطار مناهج تتسم بموضوعية مرنة، وإنما تعدّت مهمته إلى الاهتمام بالاتصال اللغوي وأطرافه وشروطه وقواعده وخواصه وآثاره، وأشكال التفاعل، ومستويات الاستخدام وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصّية في المتلقي وأنواع المتلقين، وصور التلقي، وانفتاح النص، وتعدّد قراءاته"[10].

ويشترط دي بوجراند ودريسلر في النص أن يتوفّر على معايير سبعة تضفي على النص نصّيته، وإذا اختل أو نقص معيار واحد انتفت عنه صفة نص، وهذه المعايير هي:[11]

- السبك (أو الاتساق) la cohésion
- الحبك (أو الانسجام أو التماسك) la cohérence
- القصد l'intention
- القبول l'acceptabilité
- الإعلامية l'informativité
- رعاية الموقف (المقام) le contexte
- التناص l'intertextualité

ومن هذه المعايير السبعة - حسب رأيهما - "معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص (السبك والالتحام) واثنان نفسيان بصورة واضحة (رعاية الموقف والتناص)، أما المعيار الأخير (الإعلامية) فهو بحسب التقدير."[12]

التماسك (cohérence):

يتماسك أيّ نص عبر العديد من الآليات الشكلية منها والمضمونية. أما الشكلية (الاتساق) فتتمثل في وسائل الرّبط ، وتتم بالإحالة بالضمائر المتصلة والمنفصلة وأسماء الإشارة والتعريف، وبأدوات العطف والشرط، وكذا الحذف والاستبدال والتكرار بأنواعه شرط أن تحقق - في كل مرة- مفهوم الإحالة على العنصر الإشاري السابق لترتبط الجملة أو الفقرة اللاحقة بالسابقة، فتكوّن كتلة نصية متسقة تركيبيا. فهذه الآليات وغيرها تحقق الاستمرارية الشكلية للنص. أما الآليات المضمونية (الانسجام)، فتحقق الاستمرارية الدّلالية داخل النص عبر العديد من المستويات والمبادئ، كمبدأ التأويل المحلي، ومبدأ التشابه، والسياق، ومبدأ التغريض (موضوع البحث).

التغريض(thématisation):

هو أحد المبادئ التي يتحقق بها تماسك النص على المستوى المضموني والموضوعاتي، ويتمثل في العنوان، أو الجملة الأولى التي تعدّ نقطة الانطلاق للنص، حيث تحدد تأويلنا لما سيأتي. يقول محمد خطابي: "في اعتقادنا أن مفهومي التغريض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه، وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوع الخطابات"[13]، كما يميّز بين نوعين من التغريض، "بين التغريض كواقع وبين التغريض كإجراء خطابي يطوّر وينمّى به عنصر معيّن في الخطاب. وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية، أو حادثة ... أما الطرق التي يتم بها التغريض فمتعدّدة نذكر منها: تكرير اسم شخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية..."[14]. ويضيف براون ويول - عن غرايس- قوله: "تتمحور كل تركيبة، كل جملة، كل فقرة، كل حلقة، وكل خطاب حول عنصر واحد خاص يكون هو نقطة الانطلاق"[15]. فما هي نقطة البداية التي غرّض بها القاص لهذا الكيان اللغوي وكيف جعله ينبض بالحياة بهذا الجمال والإبداع الفني؟

التحليل:

بعد القراءة التحليلية للقصة نجد أنّ الكلمة التي كانت محورا أساسيا في القصة والكلمة المفتاح - على رأي الأسلوبيين- التي مثلت « المعلم الأصلي الذي هو أس لكل لاحق؟ »[16] فنسجت حولها خيوطا كثيرة كونت بها عالم النص، هي :العنوان. "اللّسان" للقاص اللّيبي إبراهيم الكوني.[17]

نبذة عن الكاتب:

هذا الروائي - بحسب الدّارسين- بدأ الاهتمام به بعد عمله الرّوائي "رباعية الخسوف" التي تضم (البئر - أخبار الطوفان الثاني - الواحة - ونداء الوقواق)، إذ كان لها تأثير على القارئ العربي ممّا حفّز على

متابعة أعماله السابقة واللاّحقة، "ليجد فيه - للمرّة الأولى في خضم إبداعنا العربي المعاصر- كاتبا مثابرا، يسعى به إبداعه لدرجة الخبرة المتميّزة ... ونعني بها صحراء الشّمال الإفريقي."[18]

هذا الكاتب الذي اتسمت نصوصه " باتساع رقعة النسيج القصصي وتجسيدها لحالة من حالات الوجود البشري في بكارته الأولى، متمثلا في قصة أجيال متعاقبة لقبائل الطوارق المنتشرة بالصحراء فهو روائي عالمي واسع الثقافة يتمثل التجربة الإنسانية والتراث العالمي تمثلا عميقا ... فأهمية نصوص الكوني ... لا ترجع إلى حيوية تصويره الطابع الصحراوي وامتلاكه خيالا خلاّقا يبني بواسطته أسطورة معاصرة، لها عمقها الوجودي والتاريخي وتقنياتها المتميّزة التي تتنفس هواء نقيا، مكتنزا بالشعر، وذلك لأنّ الكتاب يقدّم في الوقت نفسه رؤية روائية قادرة على الاستبطان والاستشراف... فهو كاتب عربي يسعى لأن يعيد، على طريقته وبخصوصيته، النظر في العالم من خلال رؤية نقدية كاشفة لما يدمّر حياة الإنسان ويسحق وجوده."[19]

موضوع الخطاب:

القصة القصيرة فن أدبيّ يعبّر عن صور الحياة المعاشة بكلّ آلامها وأحلامها وهي أكثر مقروئيّة وأكثر استقطابا للمتلقين، "فهي تنفرد بحضورها وحيويتها وحساسيتها، لأنّها الفن الأدبي القادر على التقاط نبض العصر والتعبير عن التطورات الجارية في المجتمع، وهذا يرجع إلى قالبها المميّز بالقصر الذي يسمح لها بالنشر السريع في الأجهزة الإعلامية الجماهيرية الواسعة الانتشار..."[20]. ومدونة البحث من هذا الجنس الأدبي.

ففي هذا النص (قصة اللّسان) يمتزج السحري بالواقعي، ليشكل لنا نصا سرديا تدور أحداثه في الصحراء [21]. ويمثل النبيل والعبد بطلاها الأساسيان والوحيدان. وهما يشكلان ثنائية ضدّية. فالمكانة الاجتماعية لكليهما غير متساوية وغير متكافئة.

فالنبيل رجل ذو مال وجاه وسلطة. هو سيّد مخدوم، وآمر مطاع خلف منصب أبيه في مجلس الحكماء في قبيلته.بينما العبد بوبو هو عبد فقير ذليل، خادم لسيّده الذي ورثه عن أبيه، ليست له سلطة حتى على نفسه. هذه الفوارق التي عاقبت العبد وأبقت على النبيل في ارتكابهما لنفس الجرم وهو الخيانة. فالنبيل خان أسرار المجلس وأفشى بها إلى عبده بوبو قائلا:" لمن تريدني أن أذيع سرّي؟ وأنا رجل وحيد؟من تريدني أن أجالس وأنا بلا جليس؟ أم أنك نسيت وصية أمغار* الذي حذّرني دائما من مخالطة ايركايتادم*."[22] فالنبيل لم يستطع تحمل ذاك العبء لوحده، لأنّه رأى" كيف تدبّر المكائد بين الشيوخ وعرف النوايا الخفية ضدّ القبائل المجاورة ووقف على أساليب الزعيم في إبعاد الخلافات وإنهاء الخصومات بين أعضاء المجلس، وأدرك أخيرا، أنّ أكثر العقلاء نفوذا وقدرا هم أكثرهم دهاء وقدرة على تدبير المؤامرات ...."[23].

والعبد خان أسرار سيّده للإبل لأنّه هو أيضا لم يستطع تحمل تلك الأسرار وما تحمله من سوء فقال: "... مولاي يعرف أنّ عبده بوبو ليس خيرا من باقي الخلق في الصحراء (...) فليغفر لي مولاي جسارتي وليفني من شرّ الاستماع إلى أسرار المجلس الجليل."[24]

ممّا أدّى إلى موت الإبل التي بدورها لم تتحمّل ما تسمعه ولا لسان لها لترداده على غيرها فكان الهلاك مصيرها. وتبعا لهذه المأساة التي نزلت بإبل النبيل، والتي كان العبد سببها تشكلت ثنائية ضدّية أخرى هي الموت والحياة.حيث كان الموت القدر المأساوي المحتوم للعبد مثل الإبل، وكانت الحياة قدر النبيل.

أثر التغريض في القصة:

نبحث عن هذا الأثر بتتبع ما للعنوان من ميزات وخصائص تربطه بقضايا النص الكبرى، بطرح هذه التساؤلات: ماذا سيقول هذا اللسان؟ وما تأثيره على السامع؟ وماذا حصد هذا اللسان؟

إنّ قراءة العنوان تضع المتلقي في حيرة من تحديد محتوى النص نظرا لما يحمله (اللسان) من دلالات مختلفة ممّا يستفزّه ويحرّضه على القراءة وفكّ شفرة هذا العنوان، وبالتالي يبدّد الغموض الذي أحاط به، مستعينا بخلفيته المرجعيّة أو المخزون الفكري والثقافي الذي يكتسبه. ويرى محمد مفتاح أنّ: "المعارف المكتسبة المخزّنة في الذّاكرة تزوّدنا بالبنيات وبالأطر التي نتحرّك ضمنها." [25]

فالعنوان يعتبر بمثابة الرأس للجسد، فهو أوّل ما يظهر منه، وأوّل ما تقع عليه العين، فيجلب انتباه المتلقي، ويتكهّن موضوع النص انطلاقا من عنوانه. كما أنّه - في علم العنونة- "نصّ مصغّر، يختزل ويجمع المقاصد المفصّلة والموسّعة في النص المكبّر."[26] ولخّص شارل جريفال (ch.grifel) أنّ للعنوان وظائف ثلاث هي: "التحديد، والإيحاء، ومنح النص الأكبر قيمته، ويضيف بارث أنّ العنوان يفتح شهيّة المتلقّي للقراءة."[27]، ويختلف العنوان من حيث الحجم؛ فإمّا أن يكون لفظة مفردة أو تركيبا. فإن جاء طويلا ساعد المتلقي على توقّع مضمون النص، وإن جاء قصيرا فحينئذ يجب النظر إلى السياق الذي تشكّل فيه أو انبثق عنه، فهذه قرائن فوق لغوية توحي بما يتبعه[28].

و(اللسان) كعنوان هو من الناحية الصرفية اسم مفرد معرّف بأل" التي تفيد الاستغراق للجنس "وعلامتها أن يصلح موضعها كلّ"[29].

ومن الناحية المعجمية هو من مادة (لسن) "وهو جارحة الكلام ... وقد يذكر على معنى الكلام، قال الحطيئة:

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جَوْفِ عَكَمِ

واللسان: اللغة والرسالة ... واللسان: عشبة من الجنبة ...[30] ففي المعجم يأخذ (اللسان) معاني مختلفة، فهو العضو اللحمي الصغير بداخل الفم، وهو بمعنى اللغة لقوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه." وهو بمعنى الكلام.

فما هو المعنى الذي يأخذه العنوان من مختلف هذه المدلولات؟ إنّ التساؤل عن هذا الإشكال يتبدّد بمجرّد قراءة الجملة الأولى من النص. إذ استهلّ الكاتب نصه بجملة "اعتاد النبيل أن يجالس عبده كلما عاد من مجلس الحكماء."[31]وهنا ندرك أنّ القصة تدور حول المجالسة، وهي لا تتم إلاّ بالكلام الذي يكون اللسان

(العضو) أداته. فالجملة الأولى دعّمت العنوان في تغريض النص. ومنه نستنتج أنّ كلمة (اللسان) ستحمل مدلولين أساسيين، يتناوبان في كامل النص:

- مدلول اللسان بمعنى العضلة (العضو).
- ومدلول اللسان بمعنى الكلام.

أما بقية المعاني فتبقى حبيسة المعجم.كما تخبرنا هذه الجملة الاستهلالية بأنّ الكلام سيحصل بين النبيل والعبد وموضوعه مجلس الحكماء. وحسب الأبنية النصية [32] الكبرى - والتي عددها أربعة * بحسب تقسيمي للبنية الكلية - فقد ارتبط العنوان كالآتي :

- البنية النصية الأولى وتبدأ من " اعتاد النبيل أن يجالس عبده....ويحدّثه عن أسرار المجلس."[33]ورد العنوان (اللسان) بمعنى الكلام، حيث استعمل القاص الكلمات الدّالة على الكلام والتحاور، مثل: المجالسة - ينطلق لسان النبيل- تحدّث - خاطب - اسمع - يتفوه الفم - الاستماع- قال... وقد جرى هذا الكلام بين النبيل والعبد، حيث سرد على مسمعه ما يحصل في مجلس الحكماء يقول القاصّ: " فلم يجد في القبيلة مخلوقا يصلح للمجالسة، ويؤتمن على السرّ، مثل عبده الذي ورثه عن أبيه."[34]وهنا يظهر العبد خوفه من لسانه لأنّه على يقين أنّ هذا اللسان سلاح سام يودي بحياة صاحبه إلى الهلاك. كيف لا، وهو سيسمع أسرار مجلس القبيلة وما يقوم به من تدبير للمكائد والمؤامرات، فتوسل من مولاه أن يعفيه مما طلب منه فقال:"...فليغفر لي مولاي جسارتي وليعفني من شرّ الاستماع إلى أسرار المجلس النبيل."[35] ويتواصل الكلام بين النبيل والعبد ليأخذ منحى مختلفا، إذ ورد في شكل تهديد، حيث هدّد النبيل العبد بالقتل إن أفشى له سرّا فقال: "فاسمع يا بوبو، بأذنيك، وتذكّر لسان هذا السلاح الذي يفوق لسان النار جشعا، لأنّه سيرتوي من دم رقبتك إذا خالفت الناموس، وأذعت لي يوما سرّا..."[36].

ثم يعود الكلام بينهما كما في البداية في شكل حميميّ حين اعتبر النبيل العبد صديقا له فقال: "وأنا أتخذك صديقا أجلس إليه عملا بوصايا آمغار."[37] .

- البنية النصّية الثانية وتبدأ من "بعد شهور نزل في إبل النبيل بلاء ... لو عرف له الخلق سرّا."[38]تتحدّث عن المشكلة التي أحدثها اللسان حين نقل العبد أسرار سيده (أسرار المجلس) إلى الإبل التي نزل بها بلاء - بعد شهور- لم يعرف له سبب. فهذا اللسان تسبب بموت الجمل العدبّس ثمّ أصاب ناقة من سلالة نبيلة. ولم يتوقف البلاء عند هذين الجملين بل وصل إلى أحبّ الخلق عنده وهو جمله الأبلق . وهنا صوّر لنا الكوني العلاقة بين النبيل وهذا الجمل تصويرا أسطوريّا فقال :"...وقد رباه بيديه، وعاشره كما لم يعاشر امرأته الراحلة، وتبادلا وفاء ...وأنقذه من كمين...وكاد يضيع في أرض المجهول."[39]فالمشكلة التي أحدثها اللسان لم تهلك الإبل فقط بل كادت أن تودي بحياة النبيل إلى الهلاك حين مات هذا المهريّ إذ" احترق النبيل بالحمى، وغاب في غيبوبة ظنّت القبيلة أنّه لن يعود منها."[40]ويتواصل الكلام للبحث عن سبب البلاء وهذه المرة يتم بين النبيل - بعد شفائه - والساحر.

- البنية النصّية الثالثة، وتبدأ من "في القبيلة تردّد أنّ العين هي التي أبادت إبل النبيل....ويحدّثه بأسرار القبيلة." [41] في هذه البنية تناوب المدلولان.

- جاء أوّلا بمعنى الكلام حين أعاد النبيل" على مسمع عبده الوفي بوبو تلك التعويذة القاسية التي تعوّد أن يردّدها كلما فاض قلبه بالسرّ."[42] وحين أعاد بوبو تلك الأسرار على مسمع الإبل كان النبيل متخفيا وراء ناقة، " رآه يقتعد الأرض أمام الجمل الأشعث، بدأ يتحدّث، سمع بوبو وهو يعيد على مسمع الجمل كل الأسرار التي دارت في المجلس، وسمعها منه في جلسة الليلة."[43]

- وجاء ثانيا بمعنى العضو حين قرّر النبيل معاقبة العبد على ما اقترفه لسانه بقطع هذا المتسبب في البلاء الذي حلّ بإبله. فيروي لنا الكاتب ما حصل، فيقول: "نطق بالقصاص: (سوف أقطع لسانك أيها الشقيّ)."[44] وهنا يتذكّر العبد قيمة اللسان فيتوسل النبيل كي لا يقطع لسانه قائلا: "الرحمة يا مولاي، ليتك تجرّ السيف على نحري بدل أن تقطع لساني."[45] فهذه البنية تذكّرنا بعواقب اللسان، فما حصده العبد جراء لسانه أوصله إلى فقدان حياته، لأن الإنسان بلا لسان لا حياة له. وهذه النتيجة التي آلت إليها الأمور، هي نفسها في قصة أخرى للكوني وهي قصة "العهد"[46] حين علمت زوجة الزعيم بسرّه فقرّر قطع لسانها ليدفن سرّه في جوفها، فتوسلت منه أن يقتلها بدل أن يقطع لسانها فقالت:" أن تقتلني خير من أن تقطع لساني، فما حاجتي إلى الحياة إذا لم أتباه بمعرفة الناموس، ولم أتبار مع الشاعرات بالأشعار، ولم أتغن بأغاني الأشجان."[47]

- البنية النصّية الرّابعة والأخيرة تبدأ من قول الكاتب: "بدأ العبد يتبدّل منذ قطع السيّد لسانه ... وبقي الفم الفارغ من اللسان، مفتوحا."[48] في هذه البنية جسّد العنوان معنى اللسان كعضلة . ودليله من النص ما ذكره الكاتب ك: قطع السيد لسانه - لم ينطق به اللسان المفقود - بقي الفم الفارغ من اللسان- فكلها تشير إلى هذه الكتلة اللحمية المسؤولة على التذوّق، والبلع، والنطق. وهنا نلحظ هذا التصوير الفني البديع للكوني في وصفه للعبد حين وجده النبيل ميّتا، والذي يسميه المهتمون بالسرد بتقنية الكامرا، حيث " قام الراوي الشاهد في هذا المقطع بتبئير جثة العبد، فتتبع وفق تقنية الكاميرا العينين والفم والشفتين والفكين."[49]

- وإضافة إلى المدلولين الأساسيين للعنوان (اللسان) فقد أخذ مدلولا ثانويا هو المشابهة. فوردت صفات اللسان (كعضو) في ثنايا النص. فذكره الكوني بـ: اللسان الشرس، كناية عن السّوط الذي استعمله النبيل لتعذيب العبد لأنّ طرفه حادّ كاللسان وقوته لها مفعول اللسان وهي قوة تدميرية. يقول الكاتب: "نزل اللسان الشرس على العبد فمزّق الثوب وأكل اللّحم." [50]كما أضافه الكوني إلى كلمة النار، بقوله: "وما إن ينطلق لسان النار من الموقد، وتتبدّد الظلمة، حتى يتبدل الحال، وينطلق لسان النبيل أيضا..."[51]، فلسان النار هو" ما تشكل على شكل اللسان."[52] غير أنّ إضافة اللسان إلى النار لإقامة المشابهة في سرعة الانطلاق والازدياد بينه وبين لسان النبيل الذي راح يسرد على مسمع عبده بوبو أخبار الصحراء، والنساء، والعشاق، وأشعار الهجاء، وأخبار مجلس العقلاء.[53] ويذكّر بأنّ اللسان يحرق صاحبه ومن حوله ويتسبب في تدمير كل شيء مثلما تحرق النار ما يأتي أمامها لسرعة انتشارها. وأضافه أيضا إلى كلمتي السلاح والسيف لأنّه دقيق على

شكل اللسان. لكنّ الكوني أراد أن يبين لنا من وراء هذا التشبيه أنّ السيف يخلّف الدّم والموت وكذلك فعل اللسان بالعبد. فيقول:"لسان هذا السلاح...لأنّه سيرتوي من دم رقبتك... يداعب لسان السيف.."[54].

خاتمة:

- مثّل العنوان (اللّسان) عنصرا مهما في تغريض النص، إذ ابتدأ به وانفتحت به أغواره واتضحت أبعاده ومراميه، فكان مركز تحكم، جمع حوله جميع القضايا المطروحة في عالم النص.

- مدلول اللّسان بمعنى الكلام امتدّ على مساحة نصّية واسعة تمثلت في الحوار الذي قام بين النبيل والعبد. يعتمد القصّ في نصوص الكوني كلها رؤية تقوم على قانون النقائض والأضداد.[55]

- والفائدة التي نجنيها من النص، أنّ اللسان نعمة من نعم الله علينا وجب استعمالها في صالح النفس والخلق. يقول الرّسول-صلى الله عليه وسلم- " وهل يكبّ النّاس في النّار على وجوههم أو على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم." (حديث شريف) ويقول ابن السكيت:

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ

فَعَثْرَتُهُ بِالقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ وَعَثْرَتُهُ فِي الرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مُهْلِ

هوامش البحث:

1- برند شبلز: علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب البلاغة علم اللغة النصي. ترجمة محمود جاد الرب. الدار الفنية ط 1987 ص184.

2- جميل عبد الحميد: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998.
ص 66.

3- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ،دار الكتاب المصري.ط1. 2004ص 131.

4 -Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique et du sciences du langage Larousse, 1999, P 482.

5- فولفغانغ: مدخل إلى علم لغة النص،ترجمة، سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2004.
ص 43.

6- ديكرو: القاموس الموسوعي الجديد، ص 533.

7- ينظر، كلاوس برنكر، التحليل اللغوي للنص-مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج-ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار، ط2، 2010، ص30.

8- فولفجانج هاني همان وديترفيهقجر: مدخل إلى علم لغة النص، ص 17.

9- سعيد بحيري: علم لغة النص–المفاهيم والاتجاهات-، المختار، ط1، 2004، ص 135

10- المرجع نفسه، ص 140.

11- انظر: دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر:تمامحسان.عالم الكتب.ط1. 1998.ص 103- 105.

12- المرجع نفسه، ص 106.

13- محمد خطابي، لسانيات النص،مدخل الى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي. المغرب.ط2 . 2006 ، ص 59.

14-المرجع نفسه، ص59.

15- براون ويول: تحليل الخطاب،،تر.محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي.النشر العلمي والمطابع.الرياض، د.ت، د.ط.ص 156.

16- الأزهر الزناد: نسيج النص(بحث في ما يكون به الملفوظ نصا). المركز الثقافي العربي.ط1. 1993. ص68.

17-إبراهيم الكوني كاتب ليبي تارقي يؤلف في الرواية والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية والتاريخ والسياسة، ألّف 81 كتابا، وترجمت كتبه إلى لغات العالم الحية زهاء 40 لغة، تعتمد مادة مرجعية للدراسات البحثية في جامعات السوربون، وطوكيو، وجورج تاون ... حاز على 15 جائزة دولية. ينظر: https//ar.wikipidia.org

18- إسماعيل فهد إسماعيل: مبدعون مغايرون (كتابات مغامرة)، دار شرقيات القاهرة، ط1، 2004، ص177.

19- اعتدال عثمان: قراءة استطلاعية في أعمال إبراهيم الكوني، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، ربيع 1998، م16،ع4 ص233.

20-أحمد محمد عطية: فنّ الرّجل الصغير، في القصة العربية القصيرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1977، ص5.

21- تعدّ الصحراء عند الكوني الفضاء القصصي الأثير والدائم لديه. ينظر: تحليل النصوص الأدبية: قراءات نقدية في السرد والشعر: عبد الله إبراهيم وصالح هويدي، ص 11.

22- إبراهيم الكوني، قصة اللسان، ص 125، ضمن مجموعته القصصية خريف الدرويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، 1994.

*- وهي كلمات من التراث الأمازيغي التارقي وتعني: امغار: الأب- الجد- الزعيم- العجوز (وفي النص تشير إلى الأب) وآيركايتادم: الدهماء - الرعاع، المصدر نفسه ص125.

23- المصدر نفسه، ص 123

24- المصدر نفسه، ص 125/124

25- محمد مفتاح: دينامية النص، ص51.

26- محمد باري: العنوان في الثقافة العربية (التشكيل ومسالك التأويل)، منشورات الاختلاف، ط1، 2012، ص 37.

27- سامح الرّواشدة: إشكالية التلقّي والتأويل (دراسة في الشعر العربي الحديث)، جامعة مؤتة، ط1، 2001، ص 96.

28- انظر: محمد مفتاح ، دينامية النص، ص 72.

29- ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1991، ج1، ص 101.

30- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، مادة لسن.

31- قصة اللسان: إبراهيم الكوني، ص 123.

32- المصدر نفسه، ص 123/124-125.

* - والأبنية النصية - كما حدّدها لسانيو النص- أربعة: بنية عليا تمثّل هيكل النص/ بنية كلية تمثل موضوع النص/ أبنية كبرى تمثل قضايا (فقرات) النص/ وأبنية صغرى تمثل الجمل والعبارات المكونة للبنية الكبرى. المراجع السابقة في هذا البحث.

33- المصدر نفسه، ص123.

34- المصدر نفسه، ص125.

35- المصدر نفسه، ص 124.

36- المصدر نفسه، ص 125.

37- المصدر نفسه ص 126-128.

38- المصدر نفسه، ص 127.

39- المصدر نفسه، ص128.

40- المصدر نفسه ص 128-131.

41- المصدر نفسه، ص128.

42- المصدر نفسه، ص 129.

43- المصدر نفسه، ص 131.

44- المصدر نفسه، ص 131.

45- قصة العهد، إبراهيم الكوني، ضمن مجموعته القصصية خريف الدرويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1994.

46-المصدر نفسه، ص39.

47- المصدر نفسه، ص 132.

48- وردة معلم: منهجية تحليل النص السردي، مجلة حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، ع17، ديسمبر 2016،

49- المصدر نفسه، ص 130.

50- المصدر نفسه، ص 123.

51- ابن منظور: لسان العرب، مادة (لسن).

52- ينظر:المصدر نفسه، ص 123.

53- المصدر نفسه، ص 124.

54- ينظر: اعتدال عثمان، مرجع سابق، ص232.